****

**ختام دورة**

[**كيف تقود نفسك للنجاح في الدنيا والآخرة**](http://www.alukah.net/library/0/104896/)

**وفي الختام نستخلص ونقول:**

الحمد لله الذي أنعم علينا، ونعم الله على عباده لا تعد ولا تحصى، فمن نعم الله الجليلة على عباده، الفكر المدرك للمعرفة والإرادة الممكَّنَة في حرّية الاختيار، والحواس الظاهرة والباطنة والرزق والصحة، وتسخير المسخرات في الكون، كالشمس والقمر والنجوم والبحار والأنهار والجبال والليل والنهار والأنعام والمراكب وغيرها، واصطفى لنا الدين، وبعث لنا الرسل الأكرمين وخاتمهم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وأنزل القرآن الحاوي لما فيه هداية البشر، وإرشادهم إلى الصراط المستقيم لأجل سعادتهم العاجلة والآجلة، وما أعد الله للمؤمنين المتقين من جنات النعيم يدخلونها يوم الدين بفضل الله ورحمته بهم ومنها عفوه وغفرانه قال تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة: 3]، وقال تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الأنعام: 153]

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [المائدة: 15 – 16]

لقد أكدت نصوص كثيرة جداً أنّ صراط الله الديني الذي اصطفاه الله لعباده صراط مستقيم واحد، لا تعدد فيه، وهو الدين الذي بينه الله لآدم ولسائر النبيين والمرسلين من ذريته.

ونظراً إلى وحدة صراط الله لعباده جعل الله أَتْباع جميع الرسل أُمَّة واحدة، تتلاحق مواكبها بقيادة المرسلين، حتى خاتمة الرسالات الربانية التي جعل الله قائدها محمد بن عبدالله -صلى الله عليه وسلم-.

لكن أهواء الناس هي التي كانت السبب في التفرق والتمزق إلى فرق وأحزاب شتى، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (51) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (52) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (53) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ**﴾[المؤمنون: 51 – 54]

فأعداء النفس من الخارج والداخل ولا يمكن لهذا الإنسان الدفاع عن نفسه إلا بمعرفة العدو، ولقد تعرفنا سابقاً على القلب والنفس والعقل والحواس، والسبب في انحراف الإنسان عن الصراط المستقيم.

تعرفنا فيما سبق على كيد العدو إبليس حين شطن عن رحمة الله فأصبح ملعوناً مرجوماً، وعلمنا أنّ الشيطان في حياة الإنسان لا يعدو أنه مخلوق باستطاعته أن يوسوس في صدر الإنسان بالشرّ، ويزيّن له ارتكاب الخطيئة، ثمَّ إنّ الإنسان هو الذي يرتكب الخطيئة بإرادته الحرة، ويعتبر مسؤولاً عنها مسؤولية تامة.

وتحققنا من النصوص القرآنية أن الشيطان ليس له سلطان على حياة الإنسان ولا إرادته، إلا من سلّم قيادة نفسه له وتبعه مختاراً لنفسه طريق الغواية، فوجوده في حياة الإنسان اقتضته حكمة التوازن بين طرفي الخير والشر في امتحان إرادة الإنسان.

وقد بينّا الآيات في قوله تعالى: ﴿ **لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾[الإسراء:62]، أي: لأقودنهم من أحناكم إلى الغي، ولأستوليَنَّ عليهم لإغوائهم، فقال الله له كما جاء في سورة الإسراء: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا** ﴾[الإسراء: 65]

وجاء أيضاً في سورة الحجر﴿ **إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (40) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (41) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴾[الحجر: 40- 42]

وعلمنا أيضاً أنّ وظيفة الشيطان في حياة الإنسان أنها الوسوسة في صدره، ويشعر الإنسان بهذه الوسوسة في صورة خواطر تزيّن له الإثم والمعصية.

وتعرفنا إلى القلب وحديث النفس، وأن الخواطر تدبّ في القلب، وأن منطقة حديث النفس كائنة في قلب كل إنسان، وأن الركن الأول من منطقة حديث النفس النازعان وهما اثنان؛ الأول ويسمى نازع الخير وفطرة الإنسان، ومبعث التقوى والإيمان، والثاني: يسمى نازع الشر والهوى وهو مبعث الفجور والعصيان في الإنسان. والله –عزّ وجلّ- ابتلى الإنسان بإيجاد نازعين في النفس أحدهما للفجور والآخر للتقوى، وأن الله –عزّ وجلّ- ألهمه التقوى والتوبة والاستغفار، أما إلهام الشر فهو من الشيطان وهو النفس الأمارة بالسوء. فحين تتملّك النفس الأمارّة بالسوء يكون لها سلطة على الإنسان أقوى من سلطة الشيطان والآن نسألك بصدق وصراحة:

هل وقفت أيتها المرأة وقفة مع نفسك؟

* هل سألتها يوماً ماذا تريد؟
* هل سألت نفسك من أنت وما هي هويتّك وما هي وظيفتك وما هدفك في الحياة؟
* هل سألت نفسك مرة واحدة وقلت هل نلت السعادة التي أريد؟

ألم تلاحظي حالة الاكتئاب التي أحاطتك؟ لِمَ لا تحركين ساكناً لكي تغيري حياتك؟

* هل لا حظت أنك تكبرين يوماً بعد يوم وأنّ الزمن يسير سريعاً فتقولين إلى أين المسير؟
* هل جهزت نفسك ليوم المصير؟
* هل جهزت إجابتك للمولى العلي القدير؟
* ماذا ستجيبين؟ بعد أن عرفت ما أنعم الله –عزّ وجلّ- عليك وأكرمك بجميع النعم.

قفي الآن وقفة مع نفسك للإجابة عن هذه الأسئلة:-

أولاً: ما هدفك في هذه الحياة؟

 ما هويتك الحقيقيّة كإنسان؟

 ما وظيفتك في هذه الحياة القصيرة؟

وهل أديتها كما يحب الله ويرضى؟

ثانياً: هل جلست مع نفسك مرة وسألتها ماذا تريد هذه النفس التي بين جنبيك؟

وهل تعرفت عليها وعلى أسرارها وأهواءها؟

ثالثاً: ماذا أريد؟ وأنا لمن أنتقي؟

هل سمعت قول الله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾[الحديد: 16]؟

**أيتها المرأة:**

* هل تريدين أن تولدي من جديد؟
* وهل سألت نفسك كيف أولد من جديد؟
* وهل يمكنني بعد هذا العمر أن أعيد ولادتي من جديد؟
* متى يكون التغيير؟ وهل فات الأوان؟
* وما هو التغيير؟ ولماذا التغيير؟

قال تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[الرعد:11]

التغيير: هو التحوّل من حالة إلى حالة أخرى.

هل التغيير ظاهرة طبيعية؟

وهل التغيير ضرورة لهذه الحياة؟

نعم التغيير ظاهرة طبيعية وضرورة لهذه الحياة!

## أنا والزمن مخلوقان

فإنّ القانون يسري على الإثنين.

الجسم يتغيّر وخلاياك شئت أم أبيت في عملية تغيير مستمّر.

الزمن: يتغيّر وهو ظاهرة طبيعية. فالزمن هو وحدة الحركة بين جسمين متحرّكين القمر والأرض، والشمس والأرض.



**هناك قول لأحد الصالحين:**

" من تساوى يوماه فهو مغبون " أي صاحب تجارة خاسرة .

ومن كان أمسه خيراً من يومه فهو محروم.

ومن لم يكن في زيادة وكان في نقصان فالموت خير له.

 الزمن متغيّر

 والنفس إن لم تسبق الزمن فهي في تجارة خاسرة

 الجسد متغير

 لذا لا نشعر بالسعادة بالرغم من تحقيقنا لإنجازات كثيرة.

والتائهون وراء أوهام السعادة لم يصلوا إلا لسراب خادع... ولم يحققوا سوى الاكتئاب كيف لا وقد أهملوا فطرتهم التي فطرهم الله عليها، ونسوا أن الله سبحانه خلق الإنسان وبيّن له طريق السعادة.

لذا الزمن متغيّر بسننه الكونية والجسد متغيّر، والأصل أن الإنسان في نعمة قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[الأنفال: 53]

أولاً: فاقد الشيء لا يعطيه.

ثانياً: متى يكون التغيير؟([[1]](#footnote-1))

التغيير ضرورة دائمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (( إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فاستطاع ألا تقوم حتى تغرسها، ليغرسها فله بذلك أجر)) ([[2]](#footnote-2))

ثالثاً: أين يكون التغيير؟

هل يكون التغيير بأنفسكم؟

كيف يكون التغيير؟

بمعرفة أن الفطرة السليمة هي (التلقي والاستفهام)

وأسئلتها: ماذا ؟ لماذا؟ متى؟ أين وكيف؟

ولا تكون إلا عن طريق العلم والمعرفة.

لقد أثبتت الآيات القرآنية أنّ النفس الإنسانية هي المكلّفة والمسؤولة مسؤولية شخصية مباشرة قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[البقرة: 286]

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ﴾[النساء: 111]

ولكي نبدأ أولاً في طريق التغيير لا بد من معرفة دواء شاف، هل تريدين الجواب الكافي للسؤال عن الدواء الشافي؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

: ((ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء، علمه من علمه وجهله من جهله))([[3]](#footnote-3))

 إن المانع من التغيير هو ما تعلّق القلب به، هل سألت نفسك ماذا يملأ قلبك؟ فإنّ النفس لا تترك محبوباً إلا لمحبوب أعلى منه، أو خشية مكروه حصوله أضر عليها من فوات هذا المحبوب، فلا يجتمع في القلب حبّ الله وحبّ الصور، بل هما ضدان لا يجتمعان، بل لا بد أن يخرج أحدهما صاحبه، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار)) ([[4]](#footnote-4))، وفي رواية (( من أحبّ لله وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان)) ([[5]](#footnote-5))

 **لذا هناك أربعة أنواع للمحبة:**

الأول: محبة الله ولا تكفي وحدها في النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه.

الثاني: محبة ما يحبه الله، وهذه هي التي تدخله في الإسلام وتخرجه من الكفر.

الثالث: الحب لله وفيه، وهي من لوازم محبة ما يحب أي أن يحب الإنسان عمل كل ما يحبه الله ويرضيه.

الرابع: المحبة مع الله، وهي المحبة الشركية، وكل من أحب شيئاً مع الله، لا لله ولا من أجله ولا فيه، فقد اتخذه نِدّا من دون الله وهذه محبة المشركين.

وبقي الخامس: وهو محبة الطبيعة وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة العطشان للماء والجائع للطعام، ومحبة النوم والزوجة والولد فتلك لا تدم إلا إذا ألهت عن ذكر الله وشغلت عن محبته ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾[المنافقون: 9]

 لذا فإن المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات، والذروة العليا من الدرجات وقد ذكر الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين تحت **كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا**([[6]](#footnote-6)): بيان شواهد الشرع في المحبة وأسبابها، ثمّ بيان أن لا مستحق للمحبة إلا الله تعالى، ثمّ بيّن أنّ أعظم اللذات لذة النظر إلى وجهه الكريم في الآخرة في يوم المعاد والحساب.

**أما الشواهد:**

قال تعالى: ﴿والذين أمنوا أشد حباً لله﴾[البقرة:165]

وقوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾[المائدة: 54]

وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾[التوبة: 24]

وقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ((أحبوا الله لما يغدوكم من نعمة وأحبوني بحب الله)) ([[7]](#footnote-7))

وقد قال نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم- في دعائه " اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يبلغنا حبك اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد)) ([[8]](#footnote-8))

## بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى:

**فأول:** ما ينبغي أن يتحقّق، أنه لا يتصوّر محبة إلا بعد معرفةٍ وإدراك، إذ لا يحبّ الإنسان إلا ما يعرفه، ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب الجماد بل هي خاصيّة الحيّ المدرك. ثم المدركات في انقسامها تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك، ويلائمه ويلذه، وإلى ما ينافيه وينافره ويؤلمه، وإلى ما لا يؤثر فيه بإيلام أو إلذاذ.

**الثاني:** أن الحبّ لما كان تابعاً للإدراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس، فلكل حاسة إدراك لنوع من المدركات، وللطبع بسبب تلك اللّذة ميل إليها، فكانت محبوبات عند الطبع السليم، فلذة العين هي في إدراك المبصرات الجميلة، والصور المليحة الحسنة المستلذة، ولذة الأذن هي في النغمات الموزونة، ولذة الشمّ تكون في الروائح الطيبّة، ولذة الذوق في الطعوم الشهيّة، ولذة اللّمس هي في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة، أي للطبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم- (( حبب إليّ من الدنيا: النساء والطيب، وجعلت قرّة عيني في الصلاة)) ([[9]](#footnote-9))، فسمّي الطيّب محبوباً، ومعلوم أنه لاحَظّ للعين والسمع فيه، بل الشمّ فقط، وسمّى النساء محبوبات ولاحَظَّ فيهنّ إلا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع، وسمى الصلاة قرة عين، وجعلها أبلغ المحبوبات، ومعلوم أنها لا تحظى بها الحواس الخمس، بل يحظى بها حسٌ سادس وظنته القلب ولا يدركه إلا من كان له قلب.

ولذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الإنسان فإن كان الحب مقصوراً على مدركات الحواس الخمس وحب الله تعالى أعلى من هذه المقامات فتكون لذة القلب بما يؤمن به من الأمور الغيبية التي لا ترى بالحواس ولا تدركه العقول السليمة.

**الأصل الثالث:** **وفيه الأسباب التي تجعل المحبة في القلب:**

**السبب الأول:** أن الإنسان لا يخفى أنه يحب نفسه ولا يخفى أنه قد يحب غيره لأجل نفسه، وبيان أن المحبوب الأول **عند كل حي**: نفسه وذاته، ومعنى حبه لنفسه أن في طبعه ميلا إلى دوام وجوده، ونفرة عن عدمه وهلاكه وهذه غزيرة في الطباع بحكم سنة الله تعالى: ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾[الأحزاب: 62]

**السبب الثاني:** إن الإنسان عبد الإحسان، وقد جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها، فكل من أحبّ المحسن لإحسانه فما أحب ذاته تحقيقاً بل أحب إحسانه وهو فعلٌ من أفعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقاً، ولو نقص الحبّ ولو زاد، ويتطرّق إليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الإحسان ونقصانه.

**السبب الثالث:** أن يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال من وراء ذاته، بل تكون ذاته عين حظّه، وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه، وذلك كحب الجمال وذلك لعين الجمال، لأنّ إدراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها.

ولا تظن أنّ حبّ الصور الجميلة لا يتصور إلا لأجل قضاء الشهوة فإنّ قضاء الشهوة لذة أخرى، مثال حب الماء الجاري، وحبّ الخضرة، فالطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر إلى الأنوار والأزهار والأطيار المليحة الألوان، الحسنة النقش المتناسبة الشكل، حتى إن الإنسان لتنفرج عنه الغموم والهموم بالنظر إليها لا لطلب حظ وراء النظر.

فهذه الأسباب ملذة، وكل لذيذ محبوب، وكل حسن وجمال فلا يخلو إدراكه عن لذة، ولا أحد ينكر كون الجمال محبوباً بالطبع.

**السبب الرابع:** طبيعة الإنسان أنها تحب التنـزه عن الرذائل. طبيعة النفس البشرية أنها تحب الإنسان المستقيم الذي ليس عنده خداع ولا كذب وتكره الكذوب ذا الوجوه حتى الكفار لو كانت هذه صفاتهم يحبون هذه الصفات الجميلة.

**السبب الخامس:** المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب، إذ ربّ شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمالٍ أو حظٍ ولكن بمجرد تناسب الأرواح فقد ذكر في حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ((الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف)) ([[10]](#footnote-10))

فإذاً، ترجع أقسام الحب إلى خمسة أسباب هي: حب الإنسان وجودَ نفسه وكماله وبقائه. وحب من أحسن إليه فيما يرجع إلى دوام وجوده، ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسناً في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسناً إليه، وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة. وحب كان بينه وبينه مناسبة خفيّة في الباطن، فلو اجتمعت هذه الأسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة، كما لو كان للإنسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن إلى الخلق ومحسن إلى الوالد كان محبوباً لا محالة غاية الحب.

## بيان أن المستحق للمحبة هو الله:

الأسباب الخمسة لبيان المحبة هي مجتمعة في حق الله تعالى، ووجودها في حقّ غيره وهم وتخيّل، وهو مجاز محض لا حقيقة له، ومتى ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيره ضد ما تخيّله ضعفاء العقول والقلوب من استحالة حب الله تعالى تحقيقاً، وبانَ أنّ التحقيق يقتضي أن لا تحب أحداً غير الله تعالى.

**أما السبب الأول:** وهو حب الإنسان نفسه وبقاءَه وكماله ودوام وجوده، وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله فهذه جبله كلِ حيّ، ولا يتصوّر أن ينفك عنها، وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى، فإن من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعاً أنه لا وجود له من ذاته، وإنما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله وإلى الله وبالله، خلق الأسباب الموصلة إليه وخلق الهداية إلى استعمال الأسباب وإلا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته، بل هو محضٌ وعدم صِرف، لولا فضل الله تعالى عليه بالإيجاد، وهو هالك عقيم وجوده لولا فضل الله عليه بالإبقاء، وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته.

فالله وحده لا شريك له المستحق للمحبة لأنه الغنى، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾[فاطر:15]، فوصف الغني والكمال وصف ذاتّي انفرد به ربّ العزة والجلال ووصف الحاجة والافتقار وصف ذاتي لكل مخلوق على وجه الاضطرار في حبه لله تعالى.

فالله هو المستحق للحب وحده لا شريك له، ومن خلا من الحب هذا فلأنه اشتغل بنفسه وشهواته وغفل عن نعم الله –عزَّ وجلّ-.

**أما السبب الثاني**: وهو حبه من أحسن إليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه، وأمدّه بمعونته وقمع أعداءَه وقام بدفع شر الأشرار عنه، وهذا بعينه يقتضي أن لا يحب إلا الله تعالى فإنه لو عرف حق المعرفة لعلم أن المحسن إليه هو الله تعالى فقط، فأما أنواع إحسانه فلا تُعدُّ ولا تُحصى : ﴿وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾[إبراهيم: 34]

**أما السبب الثالث**: فهو حبه للمحسن في نفسه وإن لم يصل إليه إحسانه. وهذا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي أن لا يحب غيره أصلاً من حيث يتعلّق منه بسبب، فإنّ الله هو المحسن إلى الكافة، والمتفضل على جميع أصناف الخلائق، أولا: بإيجادهم ثانياً: بتكميلهم بالأعضاء والأسباب التي هي من ضروراتهم. وثالثاً: بترفيههم وتنعيمهم.

**وأما السبب الرابع**: فهو حبّ كل جميل لذات الجمال، فالجميل المطلق هو الله هو الواحد الذي لا شريك له، قائم بنفسه لا يفتقر إلى غيره أزلاً وأبداً، وهو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو سبحانه كان ولا شيء معه ولا شيء قبله وما زال بأسمائه وصفاته واحد أولا قبل خلقه، فوجود المخلوقات لم يزده كمالا كان مفقودا، أو يزيل عنه نقصاً كان موجوداً، والجميل سبحانه هو المتصف بالجمال المطلق في ذات الأسماء والصفات والأفعال، قال رسول الله –×-: ((إن الله تعالى جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ويبغض البؤس والتباؤس)) ([[11]](#footnote-11))

الجمال أحد أركان الجلال، والجلال منتهى الحسن والعظمة في الذات والصفات والأفعال، وهو يقوم على ركنين اثنين الكمال والجمال، فالكمال بلوغ الوصف أعلاه، والجمال بلوغ الحسن منتهاه، قال تعالى: ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾[الرحمن:27]

فالحب بهذا السبب أقوى من الحب بالإحسان لأن الإحسان يزيد وينقص.

أما السبب الخامس للحب: فهو التآلف والتناكر وهذا السبب أيضاً يقتضي حب الله تعالى، لأن الله عزّ وجلّ- هو الذي ألف بين قلوبهم.

فهذه الأسباب الموجبة لمحبة الله وحده لا شريك له فهي فضل من الله علينا فأين أنت أيتها المرأة من حبك لله، وهل وجدت بعد هذه الأسباب الموجبة لحب الله –عزّ وجلّ- تهاوناًَ في معرفتها؟ إذن، أدعوك إلى الطريق الذي إن سلكته تصلي بإذن الله إلى محبة الله -عزّ وجلّ-([[12]](#footnote-12)).

من يدعي محبة الله:

لا تخدعنّ فللحبيب دلائل

ولديه من تحف الحبيب وسائل

منها تنعمّه بمّر بلائه

وسروره في كل ما هو فاعل

فالمنع منه عطية مقبولة

والفقر إكرامٌ وبرٌ عاجل

ومن الدلائل أن ترى عزمه

طوع الحبيب وإن ألحّ العاذل

ومن الدلائل أن ترى عزمه

طوع الحبيب وإن ألحّ العاذل

ومن الدلائل أن يرى مبتسماً

 والقلب فيه من الحبيب بلابل

ومن الدلائل أن يرى متفهماً

 لكلام من يحظى لديه السائل

ومن الدلائل أن يرى منقشفا

 متحفظاً من كل ما هو قائل

تأكدي إن لم يملأ قلبك حب الله –عزّ وجلّ- فلن يكون لديك القدرة على تغيير المفتاح الذي في داخلك مع دفع النفس الأمارة بالسوء أن تحكمك.

فهل تريدين العزة؟ هل تريدين المحبة؟ هل تريدين السعادة؟ هناك طريق واحد نسلكه سوياً لنصل إلى العزة والمحبة والسعادة في الدنيا والآخرة.

أول باب للتغيير هو معرفة النفس: من أنا، ولِمَ أنا؟ معرفة الفطرة معرفة الإجابة عن ماذا عملت وكسبت من عمل صالح حتى هذه الساعة، ولماذا لم أسأل؟ متى أبدأ؟ وأين أبدأ؟ وكيف أبدأ؟

أين يكون التغيير؟

يكون التغيير في النفس وأداتها التدريب!

كيف يكون التغيير؟

آليات ووسائل التغيير الفطرة والمعرفة والعلم؟

الفطرة: سبق وتحدثنا عنها: وهي قاعدة راسخة للانطلاق، ووسيلة مرنة للتغيير.

أما المعرفة فهي الطريق إلى العلم فإذا لم أعرف ما أقول بدأت الطريق نحو الضياع، وتبدأ المعرفة منذ الطفولة: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾، ماذا نقرأ قال تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان بالعلق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان مالم يعلم﴾

هذه الآيات هي أهم دعوة إلى اكتساب العلم وأهم وسائل العلم القراءة، لماذا القراءة وماذا نقرأ؟ ظاهر الآيات تقول([[13]](#footnote-13)): اقرأ يا محمد حين عرض جبريل -عليه السلام- على رسول الله × . أما أصل القراءة هي اقرأ بسم ربك الخالق لهذا الإنسان الذي أنشأه بالتدرج شيئاً فشيئاً، وتعهّده حالاً فحالاً، وطوراً فطوراً، بحسب فطرته واستعداداته، فهو الذي تعهده بالتغذية والتنمية والإرشاد والإصلاح والتقويم، والحفظ والدعاية والتأديب، والتهذيب والتعليم، ويشمل أيضاً الإمداد المستمر بما يحتاج إليه لبقائه وسلامته.

فهل قرأت يا أيها الإنسان صفة الرحمن الخالق ربّ السموات والأرض وربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم وربّ المشرق والمغرب وربّ الفلق وربّ الناس وربّ البيت؟.

هل تعرفت أيها الإنسان سبب وجودك في هذه الحياة، هل قرأت أن الله -جل جلاله- هيّأ لك الكون لكي تحقق معنى الابتلاء بوجود عالم الغيب والشهادة. هل عرفت أيها الإنسان أن الله هيأ لك المدارك المحدودة ليظهر إيمان العبد بالغيب وتوحيده لله في أسمائه وصفاته؟ هل قرأت اسم الله الربّ لكي تؤمن به إيمان اليقين؟ فالربّ سبحانه هو المتكفل بخلق الموجودات وإنشائها والقائم على هدايتها وإصلاحها، وهو الذي نظّم معيشتها ودبّر أمرها. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**  ﴾ [الأعراف: 54]

فالرب سبحانه هو المتكفل بالخلائق أجمعين إيجاداً وإمداداً ورعاية وقياماً على كل نفس بما كسبت، قال تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** ﴾[الرعد: 33]

فالله هو وحده الخالق وهو وحده المتفرد بتدبير الأمر في خلقه: كهدايتهم والقيام على شؤونهم وتصريف أحوالهم والعناية بهم، فهل وحّد العبد ربّه حين كلفه بإرادة حرة واختيار منه وحده التصديق بما جاء به الله –جل جلاله؟ وهل نفذ ما أمره به وشرّعه له؟ فالشريعة إنما هي توجيه العبد لسلوك الأمثل تجاه ما ستأمنه واسترعاه وخوّله وابتلاه، فإنما ما فضّل الله به العبد كان بفضله الله ليشكر العبد الله على نعمه ويوحّده في أسمائه وصفاته وأنه ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ فهل قرأت وتدبرت الآيات؟ فالقراءة بتفكّر وتدبّر لأهمّ أمر، وهو تساؤلك لماذا خلقني الله في هذه الحياة، وما هي أهمية العلم دون تفكر وتدبّر بالمقصد والهدف من ورائه؟ هذان هما أساس المعرفة الحقيقية لوجودك في هذه الحياة. قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾[الكهف: 103 – 104]

ولهؤلاء الذين غطوا أعينهم بغشاء عن معرفة وجودهم في هذه الدنيا، ولم يقرأوا القرآن والآيات الكونية المؤديّة إلى ما أمر الله -عزّ وجلّ- كي ينفذّوه في حياتهم اليومية، قال تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾[الكهف: 105]

**أما محاور العلم الرئيسية فهي معرفة هويتك، ومعرفة وظيفتك، ومعرفة هدفك:**

هويتك هي: تلك النفس البشرية التي خلقها الله لتكون خليفة في الأرض.

فحين تعرفين هويتك اسألي نفسك ما هي علاقتك مع الله وما هي علاقتك مع الناس وما هي علاقتك مع نفسك.

فحين تجيبين عن هذه الأسئلة تتعرفين إلى هويتك.

وظيفتك: هي كل ما من شأنه أن يكون حقاً وواجباً على الإنسان في الحياة.

أول وظيفة: الإنسانية وهي أن تكوني إنساناً، وأول واجب وحق هو معرفة معنى الخلافة والعبودية.

والخلافة: هي تطبيق أوامر الله والنهي عن نواهيه والاحتكام لشرع الله.

ففي كتابنا هذا: حواء: سيكولوجية ما لها وما عليها تعرفنا إلى خلق آدم -عليه والسلام- علمنا أن حواء خلقت لإبقاء النوع الإنساني، وتعرّفنا أن آدم وحواء -عليهما السلام- أمرا باتباع منهج، وعلمنا أن السير على هذا المنهج أمر لذريته من بعده وعلمنا أن الذرية لو طبقت هذا المنهج لصارت البشرية إلى السعادة، ولكن البشرية تغيّرت وجحدت النعمة، وأنكرت أنّ للنعمة خالقا، فهل يُبقي الله عليهما الأمن والسلامة والنعم مادامت تغيّرت؟؟؟

ما هي معوّقات التغيير؟

وما هي المقاومات الداخلية في نفسك التي تشكل قوّة سلبيّة تجعلك تنحرفين عن طريق مسارك؟([[14]](#footnote-14))

إنها كالتالي:

1. النفس الأمارة بالسوء.
2. قوى الهوى السلبيّة.
3. قوّة الشيطان السلبية.

أول أعداء الذات الداخلية هي النفس الأمارة بالسوء([[15]](#footnote-15)) ومكانها كل أنحاء الجسم. وهي تطلب الملك لتقود الذات إلى هلاكها.

وتسيطر على الجسم وعلى إدارة الذات، فتتعرف على نقطة ضعفها وكيفية سعيها إلى إذلال الإنسان وسوقه إلى الهاوية فهي لا تأمر إلا بالسوء، وإذا أعطى الإنسان مقاليد الملك للنفس الأمارة بالسوء أسرعت بتوظيف مُسْتَشارَيْنِ مُهِمَّيْنِ، هما الشيطان الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم، والهوى الذي ترتكز مهمّته في السيطرة على اتخاذ القرار (العقل). وهي النفس التي تدعو صاحبها إلى أنواع المشتهيات التي لو اتبعها القلب وقع في الغي وانقاد إلى الباطل وإلى كل قبيح ومكروه، وهي دائمة الدعوة، لا تسأم من الأمر بتلبية الرغبة، والحض على ملذات الشهوة الحيوانية في البدن، وقد أخبر سبحانه أنها أمارة بالسوء ولم يقل آمرة لكثرة ذلك منها، وأن الأمر بالسوء عادتها ودأبها، ولذلك فإن أصحاب النفس الأمارة قوم لا يقومون إلا بما يناسب أهواء نفوسهم، فلا يرضون إلا بتحقيق ما يشتهون، ولا يغضبون إلا عندما يحرمون مما يشتهون، فإذا أُعطي أحدهم ما يشتهيه من الشهوات زال غضبه، وحصل رضاه. والنفس الأمارة فيها داعي الظلم لغيرها بالعلو عليه والحسد له والتعدّي عليه في حقّه، وداعي الظلم لنفسها بتناول الشهوات القبيحة كالزنا وأكل الخبائث، فهي تظلم من لا يظلمها، وتؤثر هذه الشهوات وإن لم تفعلها قال تعالى: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[يوسف: 53]

## الإنسان مع نفسه الأمارة بالسوء([[16]](#footnote-16)):-

إذا استطاع الإنسان العاقل أن يعزل النفس الأمارة عن مستشاريها (الهوى والشيطان) ضعفت قوتّها.

فتتحوّل من الشعور بالانتقام إلى الشفقة، والشفقة مصدر قوة للمسلم، قال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**﴾(



لذا أيتها المرأة، أول طريق للتغيير بعد معرفة النفس وما تهواه، أن لا نستسلم لها ونجاهدها. فالإنسان لا يستطيع أن يطردها من ذاته، كما أنه يحبها ويسعى إلى دلالها، وهي تسعى إلى إذلاله وسوقه إلى الهاوية، فالإنسان الكيّس الفَطِنُ هو الذي يتحكَّم بها فيأمرها أن تلتزم منطقة محدودة في ممتلكاتها ولا تخرج عنها مع إعطائها حقوقها كاملة، ويصدر أمراً بعدم تجولها في أنحاء الجسد إلا في حدود نظام وقوانين الذات وحدود تجوالها " وأنّ لنفسك عليك حقاً".

## التغيير من النفس الأمارة بالسوء إلى النفس اللوامة:

**ما هي النفس اللوامة؟ قال تعالى: ﴿لا أقسم بيوم القيامة، ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾[القيامة: 1-2]**

أقسم الله جلّ جلاله بيوم القيامة يوم البعث ويوم النشور ويوم قيام الخلائق بين يدي الرحمن.

وأقسم بالنفس اللوامة([[17]](#footnote-17)): وهي النفس الهادية، بتلويمها صاحبها على آثامه، إلى ضرورة معرفة قانون الجزاء وقانون الحساب، فإنَّ الذي يقوم بفعل الإثم والخطيئة بإرادته الحرّة، يجب أن يعرف أن هناك قانون جزاء ربانيّ. أما النفس اللوامة في داخل الإنسان، فهي من بديع إتقان صنع الخالق لهذا الإنسان، وإيجادها فيه هو بمثابة دليل على الجزاء الربّاني، وأنه حقّ لا محالة.

إنّ النفس اللّوامة تمثّل عنصر الفطرة الخيّرة والفاضلة في النفس الإنسانية، لأنها تقوم بوظيفة لوم جانب الإرادة التنفيذية داخل الإنسان على أعماله السيئة، وعلى تقصيراته عمّا ينبغي أن يعمله، كلَّما نفّذَ جانب الإرادة شيئاً من ذلك:

 اللَّوْمُ: هو العَذْل والتثريب وتوجيه الملاحظات النَّقْدِيَّة على نَقيصة أو إساءة، دون الوصول إلى مستوى الذّمّ والشّتيمة، ففي اللوم مع الوخز غير العنيف معنى النصح، وهو شبيه بالعتاب.

والنفس اللوامة([[18]](#footnote-18)) باعث يهدي صاحب البصيرة المنصف إلى قانون الجزاء الرّبّاني، وهو يأخذ بأسباب الفكر إلى الإيمان باليوم الآخر للحساب، وفصل القضاء، وتحقيق الجزاء، فإيجاد النفس اللوامة داخل الإنسان أمرٌ عجيب، يستحقُّ أن يُقْسِم اللهُ به، لأنّهُ أمرٌ من الخلقِ عظيم، ولأن في القَسَم بها توجيه نظر فكر الإنسان لها، لتَهْدِيَةُ إلى قانون الجزاء الربّاني.

## ما علاج النفس الأمارة بالسوء؟

1. محاورة النفس والتفاوض معها على أن تعطى حقوقها كاملة مقابل التزامها بالمساحة المقنّنة لها في القانون النبوي " وإنّ لنفسك عليك حقاً، ويحرّم عليها الخروج والتجوال خارج هذه المنطقة حتى لا تشطح وتستولي على مقاليد الحكم في الذات.
2. والعلاج الثاني المفيد جداً عمليّاً يكون بمخالفتها الرأي بعد إعطائها جميع حقوقها كاملة.

أما عدو الإنسان فهو الشيطان الرجيم، ولا بد من معرفة طرق الغواية وما توعّد به الإنسان!!:

لذا أخذ الشيطان على نفسه عهداً، ليضلّن بني آدم وأن يقعد لهم صراطهم المستقيم: ﴿  **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآَتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾[الأعراف: 16 -17]

**فيما أغويتني :** أي بما حكمت عليّ بالغوايّة إذ لم أمرك بالسجود لآدم، وعاندت معانَدَة رافض إلهيتك.

**لأقعدّن:** لهم صراطك المستقيم: أي لأقعدن لذرية آدم راصداً صراطك المستقيم، حتى أمنعهم من دخوله من بين أيديهم، أو أجذبهم من خلفهم لأخرجهم منه، أو أخرجهم جذباً أو دفعاً من ذات اليمين أو من ذات الشمال وهم سائرون فيه، بشتى الوسائل الإغرائية والإغوائية.

ولكن الله عزّ وجلّ- عهد إلينا أن لا نعبد الشيطان، وأن نتخذه عدواً، قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (62) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (63) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** ﴾[يس:60 -64]

روى الإمام أحمد، والنسائي من حديث سبرة بن أبي الفاكه: أنه سمع النبي × يقول: (( إنّ الشّيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك، فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تُهاجر، وتدع أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه فهاجر، ثمّ قعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد وهو جهد – أي تلف- النفس والمال، فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال، فعصاه فجاهد، فمن فعل ذلك كان حقاًً على الله أن يدخله الجنة، ومن قتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنّة، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنّة، وإن وقصته دابته كان حقّاً على الله أن يدخله الجنّة)) ([[19]](#footnote-19))

## الصراط المستقيم([[20]](#footnote-20)):

ما هو الصراط المستقيم؟

وهل الصراط متغير من أمّة إلى أمّة؟

وهل الصراط هو الطريق الذي نسلكه في دار الابتلاء لنصل به إلى دار الجزاء؟

ومَنْ يضع هذا الصراط لكي نسير عليه؟

وهل جميع الناس ينهجون نهج هذا الصراط أم أنهم ينهجون مناهج مختلفة؟ وما هي هذه المناهج؟

ألم يقل الله الذي خلقنا وهو أعلم بمن خلق: ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتّبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾[الأنعام:55]

ألم يقل الله تعالى الصراط المستقيم هو ما وصى الله تعالى به رسوله –صلى الله عليه وسلم-، ليدعو قومه كي يتقوا بسلوكهم إياه عذابه يوم القيامة؟ لقد سنّ الله –عزّ وجلّ- سنناًَ كونية، وصراطاً مستقيماً واحداً، لا تعدد فيه، ولا نقصان ولا خلل، وهو المنهاج الذي بيّنه الله لآدم –عليه السلام- ولسائر النبييّن والمرسلين من ذريته.

قال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48) وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[سورة المائدة: 48 – 51]

لذا نجد اليوم الناس ينتهجون مناهج مختلفة في حياتهم، انطلاقاً من المبادئ والأسس الاعتقادية التي يعتقدونها، وهذا هو نظام السلوك الإنساني الذي فطر الله الناس عليه، وجعله سنة من سنن الاجتماع البشري، فمن آمن بالله ورسوله دفعه إيمانه إلى الالتزام **بصراط الله المستقيم الذي اصطفاه ديناً لعباده، وتحرى العمل بمنهاجه التفصيلي**. ومن اختار لنفسه مبادئ أخرى وضعية من الأوضاع البشرية عمل بما تقتضيه هذه الأوضاع البشرية.

لذا يخطئ بعض المتعجلين في فهم قول الله عزّ وجلّ- في هذا النص: ﴿لكلٍ جعلنا شرعة ومنهاجاً﴾ فيتصوّر أنّ رسالات الله التي أرسل بها رسله السابقين إلى الأمم مختلفة فيما بينهما شرعة ومنهاجاً، وما جاء في الرسالة الخاتمة مشتمل على شرعة ومنهاج مخالفين أيضاً لما جاء في الرسالات السابقات، **وجاء هذا الوهم** من كون بعض أحكام الفروع التعبدية قد جاء فيها تكميل أو تعديل أو تيسير، مع أنّ مثل هذا قد حصل في الرسالة الخاتمة نفسها، دون أن يؤثر على وحدة صراط الله، ووحدة شرعته وقد أكدت النصوص الكثيرة جداً أن صراط الله الديني الذي اطفاه الله لعباده صراطٌ مستقيم واحد، لا تعدُّد فيه وهو الدين الذي بيَّنه الله لآدم ولسائر النبيين والمرسلين من ذريته.

ونظراً إلى وحدة صراط الله لعباده جعل الله اتباع جميع الرسل أمّة واحدةً، تتلاحق مواكبها بقيادةِ المرسلين، حتى خاتمة الرسالات الربانية التي جعل الله قائدها محمد بن عبدالله -×- **لكنّ أهواء الناس** هي التي كانت السَّبَبَ في التفرُّق والتمزق إلى فرقٍ وأحزابٍ شتى، فمن التزم صراط الله الحق اتّبع الرسول الخاتم، وعَمِلَ بما أنزل الله عليه، وهجر تحريفات المحرّفّين وغُلُوّ الغالين، وما أُدخل النّاس من شِركياتٍ وكفريّاتٍ فيما ينسب إلى الرُّسُل السابقين.

دل على هذه الحقيقة قول الله تعالى في سورة المؤمنون:( يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (51) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (52) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (53) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ) المؤمنون: 51 – 54]

**شِرْعَة:** الشرعة والشريعة في كلام العرب هي مشرعة الماء، وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون، وربما شرعوها دوابهم حتى تشرعها وتشرب منها، والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء فيضاً لا انقطاع له، وحتى يكون ظاهراً معيناً لا يحتاج أن يُنْضَح بالدلاء. [عن لسان العرب مع بعض تصرّف في اللّفظ].

وهنا نلاحظ أن الشرعة تشير إلى المبادئ والأسس الاعتقادية التي يشرعها الناس، فيشربون منها ويستقون مفهوماتهم للحياة وعقائدهم، وهو ما يسمى في اصطلاح القانونيين بالمبادئ الأساسية، أو المواد الدستورية، أو الأسس التي يعتمد عليها الدستور، وقد يُطْلِقون عيها عبارة " أيديولوجيات".

**منهاجاً**: المنهاج والمنهج الطريق الواضح، تقول العرب: أنهج الطريق، إذا وضح واستبان، وصار نهجاً واضحاً بيناً.

وهنا نلاحظ أن المنهاج يشير إلى الأحكام التفصيليّة لأعمال الحياة وأنواع السلوك فيها، وهذه الأحكام تستند إلى المبادئ والأسس الاعتقادية التي اشترعوها وانطلقوا منها، فهي الأيديولوجيات التي يستندون إليها في رسم مناهجهم في الحياة.

**والناس في شرائعهم ومناهجهم على أقسام:**

1. فمن يؤمن بالله ورسله، واليوم الآخر، ويكون صادقاً مخلصاً حريصاً على سعادته ونجاته، يَرِدُ شِرْعة الله لعباده، ويصدر عنها سالكاً منهاج الله لهم.

وانسجاماً مع هذه الفطرة التكوينيّة، اصطفى الله للناس في الكتب التي أنزلها على رسله شرعة يشربون منها المبادئ والأسس التي يجب عليهم أن يؤمنوا بها، ليضمنوا لأنفسهم السعادة العاجلة والآجلة، واصطفى لهم منهاجاً بيناً واضح المعالم موصولاَ بالشرعة، وأوصاهم بأن يسلكوه في حياتهم، ليضمنوا لأنفسهم السعادة.

وهذا المنهاج الرباني قد دخل فيه بحسب التكامل البشري، والتطور الإنساني تكامل، وبعض تعديلات، ليلائم الطور الذي وصل إليه الناس، فلما اكتمل التطور البشري أنزل الله عزّ وجلّ المنهاج المكتمل على خاتم رسله.

1. والذين يشركون بالله، قد اتخذوا لأنفسهم شرعة غير شرعة الله، ولا بد أن يكون لهم منهاج في الحياة منسجم مع شركهم، وهو مخالف حتماً لمنهاج الله للناس.
2. والذين يجحدون الله جحوداً كلياً، ولا يؤمنون بالغيب، ولا يؤمنون بأنهم مدينون ومجازون، قد اتخذوا لأنفسهم شرعة غير شرعة الله لعباده، ولا بد أن يكون لهم منهاج في الحياة منسجم مع نوع كفرهم بالله واليوم الآخر، وهو مخالف حتماً لمنهاج الله للناس.

فمن اختار شرعة غير شرعة الله، بمقتضى ما وهبه الله من إرادة حرة مختارة، وسخر له المسخرات التي تطيعه بخلق الله، فيحقق بها ما اختار لنفسه، فلا بد أن يتخذ في حياته منهاج سلوك يلائم ما اختار من شرعة، ويمكنه الله من سلوكه بما يسخر له من مسخرات، ومن اختار شرعة الله كذلك فلا بد أن يدفعه إيمانه إلى سلوك منهاج الله لعباده، وبعد وجود الدافع: إما أن يستجيب بإرادته مطيعاً، وإمّا أن لا يستجيب فيتبع هواه عاصياً.

فالمؤمنون شرعتهم ابتغاء مرضاة الله، ومنهاجهم أحكام دينه لعباده.

والكافرون شرائعهم أهواؤهم وضلالات الشياطين، ومناهجهم ما يرضي شهواتهم، ويرسم له شياطينهم وواضعو مذاهبهم. وبما أنّ الناس مختلفون في شرائعهم ومناهجهم، فلا بد أن يفترقوا إلى أمم متخالفة، وهذا من آثار منحهم إرادات حرة لابتلائهم في ظروف الحياة الدنيا.

ولو شاء الله أن يجعل الناس أمة واحدة، لسلب الناس إراداتهم الحرة، ولجعلهم مجبورين على الإيمان والإسلام، ولكانوا بذلك أمة واحدة ربانية خاضعة في حركاتها وسكناتها لسلطان قدر الله الجبري.

ولكن هذا يفوّت حكمة الابتلاء، الذي هو في الأساس الغاية من خلق الناس مزوّدين بالصفات التي هم عليها.

فالله عزّ وجلّ لم يجعل الناس أمة واحدة بالقهر والجبر، لأن حكمته قد قضت بأن يمتحنهم فيما آتاهم من إرادات حرة، وإدراك للأمور. وعقل، وشهوات، وغرائز وأهواء، وقدرة على الطاعة والمعصية، وفعل الخير وفعل الشر، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض جميعاًَ.

فقوله تعالى: ﴿ولكن ليبلوكم في ما آتَاكُمْ ﴾ أي: ولكن لم يشأ أن يسلبكم إرادتكم الحرة، ويجعلكم أمة ربانية واحدة، ليبلوكم في ما آتاكم من صفات ميزكم بها على المخلوقات المجبورة التي لا اختيار لها.

﴿فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[المائدة:48]

وفي هذا بيان المطلوب في الامتحان، وهو فعل الخيرات والاستباق إليها، ليظهر من هو أحسن عملاً، فيجازيهم الله يوم الدين، بحسب سبقهم أو تقصيراتهم جزاء الفضل، وليظهر المسيؤون والكافرون الجاحدون، فيعاقبهم الله يوم الدين على سيئاتهم وكفرهم وجحودهم عقاب العدل.

فالمرجع إلى الله هو للحساب وفصل القضاء والجزاء، أما الإخبار بما كان الناس فيه يختلفون إلى شرائع ومناهج، فيكون بكشف الحقيقة التي لا يغشيها يومئذ هوىً، ولا وساوس شياطين، ولا ضلالات مضلين، ولا زخرف أقوال المغوين المفسدين.

ويومئذ يظهر للجميع أن الحق الذي لا ريب فيه هو شرعة الله ومنهاجه، اللّذان أوحى بهما إلى رسله، وأما شرائع الناس ومناهجهم المخالفة له، والمتخالفة فيما بينها، فهي بواطل وزيوف.

ويومئذ تحق كلمة الرحمة والتكريم لمن آمن بالله، وبما أنزل الله على رسله، واستقى من شرعته الطاهرة النقية لعباده، وسلك المنهاج الواضح البين الهادي إلى السعادة العظمى، والذي اصطفاه الله لهم.

**أما كيفية تحصين هذه النفس التي بين جنبينا ضد الشيطان أمرنا الله –عزّ وجلّ-**: بالاستعاذة([[21]](#footnote-21))، وهي الالتجاء إلى الله تعالى، والالتصاق بجنابه من كل ذي شر، بأن نستعيذ من شر ما خلق وبرأ .

لقد أمرنا الله عزّ وجلّ- بأن نستعيذ به من شر ما خلق وبرأ وذرأ في كونه، لأن الاستعاذة به من شرّ ما خلق مظهر من مظاهر الإيمان الصادق. وسلوك نابع من القاعده الإيمانية.

فالمؤمن بالله الذي له ملكوت السماوات والأرض، وهو على كل شيء قدير، إذا حَذِرَ أو خاف من شر شيء أو من ضره أو أذاه، لم يتعذ في دعائه الموجّه للغيب بإنس، ولا جن، ولا ملك، ولا حيوان، ولا جماد، ولا روح نبيّ أو رسول أو وليّ أو صالح من صلحاء المسلمين.

إنما يستعيذ بالله –عز وجلّ- وحده لا شريك له، فهو ربّ الفلق، وهو ربّ الناس، وملك الناس، وإله الناس، وهو رب كل شيء من دونه، وملك كل شيء ومليكه، والمستحق وحده لأن يعبد، والاستعاذة بالغيبيات لون من ألوان العبادة.

وفي الاستعاذة بالله –عزّ وجلّ- تمكين للقاعدة الإيمانية، وتثبيت عمليّ للاعتقاد بأنّه لا ربّ في الوجود كلّه إلا الله، ولا إله في الوجود كلّه يستحق الإلهيّة إلاّ الله، ولا منجي من كلّ المكاره سواه، مع ما في الاستعاذة بالله –عزّ وجل- من عبادة هي من أعمق العبادات وأخلصها، فالاستعاذة من الدّعاء. والدعاء عبادة.

**أمّا المستعيذ:** فإنّما يلجئه إلى الاستعاذة بغيره شعوره بضعفه وعجزه عن دفع أو رفع شر أو ضرّ أو أذىّ يخشاه، أو قد مسّه منه شيء.

ومعلوم أنّ الخلق كلّهم ضعفاء تجاه كثير ممّا خلق الله في كونه، وهم فقراء إلى الله –جلّ جلاله- دون استثناء.

**وأمّا المستعاذ به:** فالقاعدة الإيمانيّة المستقرّة في قلب المؤمن تتضمّن أنّ الخلق جميعهم ضعفاء، لا يملكون لغيرهم ولا لأنفسهم جلب نفع ولا دفع ضرّ. إلا بتمكين من الله وتسخير للأشياء، وإذن قدري منه.

فالسلطان كلّه في الوجود كلّه له وحده لا شريك له، هو الذي خلق فسوّى، وأخرج من ظلمة العدم إلى نور الوجود، وأمدّ بالقُوى، ومكّن، وسخرّ، ثمّ هو يأذن إذا شاء أو لا يأذن.

فهو عزّ وجلّ- الذي يجب أن لا يستعيذ المستعيذون إلاّ به، وأن لا يدعو الدّاعون إلاّ إيّاه.

**وأمّا المستعاذ منه:** فهو كلّ شرّ أو ضرّ أو أذى عاجل أو آجل، من كل ما خلق الله، ومن غضب الله وسخطه وعقابه، وعذّابه، التي تجلُبُها معاصي العباد، ومن بلائه الذي قد تقضي به مقاديره، ممّا هو من المكاره، وأذن الله بأن نسأله العافية منه.

والمخلوقات التي يمكن أن تجلب للإنسان الشّرّ أو ما يكره من ضرّ أو أذى منبثّة في كل ما خلق الله من أنواع وأصناف، بدأ من نفس الإنسان الأمارة له بالسّوء بين جنبيه، إلى شهواته الجامحة، وأهوائه الجانحة، وقواه الطاغية، ثمّ إلى شيطانه الذي يجري منه مجرى الدم، فإلى سائر شياطين الإنس والجنّ، وسائر ما خلق الله من ظاهر مشهود، أو خفيّ محجوب.

ومن لوازم تحقيق حكمة الابتلاء أن تؤثر أعمال بعض المخلوقات في بعض، فيكون من نتائج هذه التأثيرات نفع وخير من بعض ذوي الإرادات الحرّة لغيرهم، أو ضرر وأذىّ وشرّ منهم لغيرهم.

ومن تأثيرات بعضهم على بعض، أعمال إغواء وإغراء ووسوسة وتسويل، حتى يفعل المستجيبون بإرادتهم شرّاً أو ضرّاً أو أذىّ، أو يحدثوا إفساداً في الأرض، مع خضوع كل نتائج أعمالهم لسلطان التمكين القدريّ العام، والتسخير للمسخّرات في الكون، ومع الإذن من الخالق جلّ جلاله- بتحقيقها للابتلاء.

وممّا قد يكون له آثار ذوات شرّ وضرّ، وهو يتحرك في الكون بقوانين الله القدرية الجبرية، ما هو داخل في ذات الإنسان، كنفسه الأمّارة بالسّوء، وكبعض دوافعه وغرائزه التي قد تنمو في ذات نفسه، فتحرّض قدرات إرادته على فعل الإثم والشّرّ، وقد يدفعها بقوّة، كشدّة انفعال الغضب الذي يفسد ميزان العقل، ويضعف مقاومة الإرادة، ويضعف مقاومة الإرادة، وكشدة انفعال العشق أو البغض أو الحقد، أو شدة ثوران الشهوة، أو تملك الطمع أو الخوف أو الجبن، أو ضغط الضائقات المحرجات كالفقر والجوع الشّديدين، وأنواع التّعذيب والآلام الّتي ترهق قدرات الاحتمال لدى الإنسان.

والإنس والجنّ لهم آثارٌ ذات شرّ، وهم يتحرّكون ويتصّرفون في الكون بإرادة حرّة مختارة منحهم الله –عزّ وجلّ- إيّاها، ومكنهم من تنفيذ بعض مراداتهم ممّا يدخل ضمن استطاعة قدراتهم، فيما سخّر لهم في كونه.

فالإنس قد يمكرون ويكيدون ويُوَسْوِسون بأسباب خفيّة أو ظاهرة، لإنزال الشرّ أو الضرّ، أو الأذى، فيمن يكيدونه، وهذا من لوازم التخيير والتمكين والتسخير، للابتلاء في ظروف الحياة الدنيا.

والجنّ قد يفعلون مثل ذلك، بأسباب خفيّة، مكّنهم الله منها، وسخّرها لهم، غير أسباب الإنس، وهذا من لوازم التخيير والتمكين والتسخير.

والشياطين وهم كفرة الجنّ ومردتهم قد يوسوسون، ويُغرون، ويسولون إطماعاً بالباطل، لدفع الناس بوساوسهم، وإغراءاتهم، وتسويلاتهم، إلى الكفر والفسوق والعصيان، وهذا من لوازم التخيير والتمكين والتسخير.

وكلّ ما لا يملك الناس أسباب الحماية منه، واتخاذ الوقاية من أسباب شرّه أو ضرّه أو أذاه، فقد تكفّل الله –عزّ وجلّ- للمؤمنين به، المستقيمين على طاعته، والمستعيذين به، بأن يتدخل –جلّ وعلا-، ليحميهم ويقيهم من الشرور، ذوات الأثار الضارّه في آخرتهم، إذا استعاذوا به حقاً وصدقاً، ولجؤوا إليه من عمق قلوبهم، وتوكّلوا عليه، داعين متضرّعين له، وقد يدفع عنهم المضارّ الدّنيويّة، أيضاً، ما لم تكن حكمته قد قضت بأن يبتليهم ببعضها، بشرط أن يستعيذوا به حقاً وصدقا، ويلتجؤوا إليه من عمق قلوبهم، ويتوكلوا عليه، داعين متضرّعين له، مخلصين في دعائهم وعبادتهم له.

وقد عوّد الله –عزّ وجلّ- عباده المؤمنين الصّادقين أن يردّ كيد أعدائهم في نحورهم، وأن يعيذهم من شرورهم، إذا استعاذوا به والتجؤوا إليه.

فالإنسان يتخذ من الأسباب ما مكّنه الله من اتّخاذه، ثمّ يجد نفسه عاجزاً عن اتخاذ أسباب هي فوق قدراته، أو لا تقع في دائرة علمه أصلاً.

فماذا يفعل إذن؟!

إنّه لا حيلة له إلاّ أن يرجع إلى قاعدة إيمانه بربّه، الذي هو مسبب الأسباب كلها، والمهيمن على كلّ شيء، والعليم الخبير بكل شيء، والذي هو على كل شيء قدير.

ولهذا علّمنا ربّنا –جلّ جلاله- أن نستعين به في ممارساتنا لكلّ أسبابنا، فنقول بقلوبنا وألسنتنا: بسم الله الرحمن الرحيم.

وعلمنا ربّنا –جلّ جلاله- أن نتوكل عليه ليحقق لنا ما نحب من خيري الدنيا والآخرة، وعلّمنا أن نقول بقلوبنا وألسنتنا أذكاراً وأدعية أنزلها في كتابه، ومنها:

* ﴿هو الرحمن ءامنا به وعليه توكلنا﴾
* ﴿وسع ربنا كل شيء علماً على الله توكلنا﴾
* ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾
* ﴿حسبنا الله عليه يتوكل المتوكلون﴾

**وبالتأمل الدقيق العميق نُدرك قضيتين:**

**القضية الأولى:** أنّ اتخاذ الأسباب يقع في دائرة الطاعة العمليّة لله –عزّ وجلّ-.

**القضية الثانية:** أنّ التوكّل على الله –عزّ وجلّ- يقع في دائرة العبادة القلبيّة والنفسيّة، لله تبارك وتعالى، ويساعد اللّسان هذه العبادة بالذكر اللفظّي، الذي قد يجلب التصوّر الذهنيّ، والحضور القلبيّ النفسيّ.

أمّا موقف العبد المؤمن تجاه ما لا يملك حماية نفسه ووقايتها، مما قد يتجه نحوه بشر أو ضرّ أو أذى.

والاستعاذة بالله -عزّ وجلّ- هي في الحقيقة توكل على الله ودعاء له في آن واحد، وهاتان عبادتان في حركات القلب وذكر اللسان.

جاء في السنّة النّبوية حول التوجيه للاستعاذة بالله –عزّ وجلّ-، وحول استعاذات الرسول –صلى الله عليه وسلم- بربه في أدعيته، أحاديث كثيرة، منها ما يلي:

روى مسلم عن أبي هريرة قال: ((كان النبي –صلى الله عليه وسلم- يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام، أن يضطجع على شقه الأيمن، ثم يقول: اللهم ربّ السماوات وربّ الأرضين، ربّنا وربّ كلّ شيء، فالق الحب والنّوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شرّ كلّ دابّة أنت آخذ بناصيتها، اللهم أنت الأوّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين، وأغننا من الفقر)) ([[22]](#footnote-22)).

روى أبو داود عن أبي هريرة، أن أبا بكر قال: حدثنا رسول الله، مرني بكلمات أقولهنّ إذا أمسيت، وإذا أصبحت، قال: ((قل: اللهم فاطر السماوات والأرض، وعالم الغيب والشهادة، ربّ كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلاّ أنت، أعوذ بك من شرّ نفسي، وشرّ الشيطان وشركه)) ([[23]](#footnote-23)).

وروى مسلم عن عبد الله بن مسعود، أن النبيّ –صلى الله عليه وسلم- كان يقول إذا أمسى وإذا أصبح: ((أمسينا وأمسى الملك لله، أو أصبحنا وأصبح الملك لله))

ثم يقول: ((والحمد لله، لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ربّ أسألك خير ما في هذه الليلة، وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر هذه الليله، وشر ما بعدها، أعوذ بك من الكسل، وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار، وعذاب في القبر)) ([[24]](#footnote-24)).

روى مسلم عن عثمان بن أبي العاصي الثقفي، أنّه شكا إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم - وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: ((ضع يدك على الذي تألم من جسدك، وقل: بسم الله، ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شرّ ما أَجِدُ وَأُحاذِرُ)) ([[25]](#footnote-25)).

وجاء عند مالك، أن عثمان بن أبي العاصي قال: ففعلت ذلك، فأذهب الل ما كان بي، فلم أزل آمر بها أهلي وغيرهم.

## خاتمة البحث ونتائجه:

بعد هذه الدراسة المفصّلة للمرأة: جسماً، ونفسية، وخَلقاً، وواجبات، يتبين لنا، ومن دون أي شك أو ارتياب، أن المرأة آية من آيات الله -عزّ وجلّ-، أنعم الله بها على الرجل ليتمّم، وإياها حكمة خلق الله للبشر، إذ استخلفهم في الأرض ليعمروها بحسب شرع الله، وليحفظوا فيها حكم الله وليتواصوا فيما بينهم بما يرضي الله ورسوله.

ومن هنا، نستطيع أن نفهم حكمة الله في خلق آدم وحواء من نفس واحدة، وباختلافات خَلْقِيّة تقود إلى اختلافات نفسية وسلوكية، وارادية، وعضوية مختلفة، إلا أن هذه الاختلافات والتباينات جعلها الله آية من آياته في الخلق، لتترابط وتتماسك فيما بينها وتؤلف نواة أسرة مؤمنة ساكنة آمنة مطمئنة، لأنها ستجد قائديها الاثنين يتعاونان، يتواصلان، ويتمّم أحدهما الآخر، فتبدو العائلة مترابطة متكاتفة يشدّ بعضها بعضاً ويؤازر الفرد منها الآخر لتصبح كالكرة لا ثقب ولا ثغرة، ولا خلاف فيها ولا حسد ولا كراهية، بل هي كرة كاملة يعيش أفرادها في أمن وسلام برعاية أم عطوف وأب قوي مسؤول.

إذا كانت هذه هي الحكمة الإلهية، فمن أين انبعث شعور الرفض والدونية لدى المرأة؟ وما سبب هذه الفوقية والدكتاتورية التي تظلّل شخصية الرجل، وتجعله يبدو دائماً بمظهر العنيد العنيف، والقوي المستبد؟

لا شك أنه الجهل! الجهل بالحكمة الربانية! الجهل بالهدف الذي خلقنا لأجله! الجهل بطبيعة كل فرد من أفراد العائلة نواة المجتمع الكبير! الجهل الذي يعمى البصيرة، ويميت القلب، ويدمّر البيوت ويفكك الأُسر.

وخوفاً على الإنسان من غدر الجهل ونتائجه المدمرة، نزلت أول آية من آيات كتاب الله العزيز الكريم يدعو الله فيها الإنسان للتعلّم لأنّ في العلم لبنة من لبنات البناء ومن أسس عمارة الأرض، قال تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، ... علمّ الإنسان مالم يعلم﴾[سورة العلق: 1-5].

فلنتعظ، أيتها الأخوات، فلنتعظ، ولنقرأ ... ولنتعلّم العلم وأهدافه... ولنعمل بما علمنا، نعش كباراً أحراراً، ونعمر الأرض رياحين وازهاراً، من صنع يدينا، ومن دم قلوبنا، أزهاراً معطرة برحيق الإيمان، ومحصنة بحضن الشرع القويم...

ولكن للأسف، فإن المرأة تجهل كيفية خلق الله لها، وتجهل الغرض والهدف الأساسي لخلقها بهذه الطريقة، وترى بأم عينها مدى قوة الرجل البدنية، والفكرية، وتلحظ تميَّزه الاجتماعي في المواقف الصعبة، فتتأثر ويغلب عليها شعورها بالدونيّة، ويساعدها في تنميّة هذا الشعور القوانين الوضعية التي وضعها رجال المجتمع وخرجوا فيها عن الحق في الأحكام... ولو تابعت المرأة، كل امرأة، دراسة منهج الله -عزّ وجلّ- في خلقه، لوجدت أن المرأة والرجل مخاطبان من الله تعالى ومكلفان بالتكاليف الشرعية نفسها، لا فرق في ذلك بين رجل وامرأة. قال تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[النحل: 97]

سيدتي المرأة:

اِعلمي أن الله -جلّ جلاله- قد أولاك مكانة عظيمة في مجتمعك وبين أهل بيتك. قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم - عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: ((جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أُمَّك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك.)) ([[26]](#footnote-26))

والرسول –صلى الله عليه وسلم- قال في الأم أيضاً: عن طلحة بن معاوية السلمي -رضي الله عنه-، قال: (( أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إني أريد الجهاد في سبيل الله، فقال: أمَّك حيّة؟ قلت: نعم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: الزم رجلها فثمّ الجنة)) ([[27]](#footnote-27)).

هذا مما يدل على دور المرأة الذي لا يمكن أن يعوّضه مخلوق آخر، ومكانة المرأة في أهل بيتها إذ من واجبهم الاعتراف بفضلها والتذلل لها واحترامها وتقديرها لكسب رضاها.

وإن كانت المرأة هي نصف المجتمع الكبير، والصغير: أسرتها، وإن كانت المرأة هي التي تلد، وهي التي تربّي، وهي التي تعلّم وتنشئ بحسب منهج الله تعالى إذا فهي الصورة المظلّلة للمجتمع كله، فإن صلحت صلح مجتمعها، وإن فسدت أفسدت العالم كله.

فلنهتدي بهدي الله تعالى، ولنؤمن بعدل الله في خلقه ولنقم بما يتجانس مع طبيعتنا الإنسانية، ولنتقِ الله في أنفسنا، نسعد ونُسعد ونَعْلُ ونَفُز، وتطمئن قلوبنا ونفوسنا ولا نعد في حاجة إلى طبيب نفسي ولا إلى دواء يهدّئ أعصابنا الثائرة، إذ بذلك فقط يتحقق فينا قول الله تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾

فنحمد الله -جلّ جلاله- أن هدانا إلى الصراط المستقيم وفضّل علينا بكتابة هذه الموسوعة وأعاننا على إعدادها.

**الفهرس**

[أنا والزمن مخلوقان 5](#_Toc464464787)

[بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى: 9](#_Toc464464788)

[بيان أن المستحق للمحبة هو الله: 11](#_Toc464464789)

[الإنسان مع نفسه الأمارة بالسوء():- 17](#_Toc464464790)

[التغيير من النفس الأمارة بالسوء إلى النفس اللوامة: 18](#_Toc464464791)

[ما علاج النفس الأمارة بالسوء؟ 19](#_Toc464464792)

[الصراط المستقيم(): 20](#_Toc464464793)

[خاتمة البحث ونتائجه: 30](#_Toc464464794)

1. - دورة "كيف تولد من جديد" للدكتور عبد الرحمن ذاكر حامد، أعطيت في المعهد العالمي للفكر الإسلامي (بيروت) 2004م بتصرف. [↑](#footnote-ref-1)
2. - ذكره على بن علي بن العزيز في المنتخب بإسناد حسن عن أنس رضي الله عنه، " عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، باب الحرث والزراعة". [↑](#footnote-ref-2)
3. -رواه الترمذي (2039) ، وأبو داود (3855) ، ابن ماجه (2436). [↑](#footnote-ref-3)
4. - رواه البخاري (16) ، ومسلم (43) ، والترمذي (2926) ، النسائي (8/ 96) ، ابن ماجه (4033). [↑](#footnote-ref-4)
5. -رواه أبو داود (4681). [↑](#footnote-ref-5)
6. - الغزالي، أبي حامد، احياء علوم الدين، دار الأرقم بن الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1998م. المجلد الرابع، ص 375 – 390 بتصرف. [↑](#footnote-ref-6)
7. -وراه الترمذي، حديث رقم: 3789، في المناقب ج5 / 664. [↑](#footnote-ref-7)
8. -رواه الترمذي، حديث رقم: 3490، في الدعوات ج5 / 522. [↑](#footnote-ref-8)
9. -رواه النسائي، حديث رقم: 3937، في أول كتاب عشرة النساء ج7/ 61. [↑](#footnote-ref-9)
10. -رواه مسلم، حديث رقم: 2638، كتاب: البر والصلة، ج3/ 2031. [↑](#footnote-ref-10)
11. -كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين على بن حسام الدين البرهان نووي، 6/ 639 (17166). [↑](#footnote-ref-11)
12. - الغزالي، إحياء علوم الدين، ص 385 – 395 بتصرف. [↑](#footnote-ref-12)
13. - الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، معارج التفكر ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1420هـ / 2000م، المجلد الأول، ص44- 47بتصرف. [↑](#footnote-ref-13)
14. -المطوع، نسيبة عبد العزيز، قيادة الذات، رؤية تربوية ، الكويت، الطبعة الثانية، 2003م/ 1423هـ، ص 39 – 40 بتصرف . [↑](#footnote-ref-14)
15. - المرجع السابق، ص 85. [↑](#footnote-ref-15)
16. -المطوع، نسيبة عبد العزيز، قيادة الذات وإدارتها، رؤية تربوية ، الكويت، الطبعة الثانية، 2003م/ 1423هـ، ص 86 - 87 بتصرف . [↑](#footnote-ref-16)
17. -الميداني، عبد الرحمن حبنكة، معارج التفكر ودقائق التدبر، المجلد الثاني، ص 467 - 469 . [↑](#footnote-ref-17)
18. () النفس اللوامة لذاتها على إساءاتها هو الطرف الأعلى السامي منها، ما لم تفسد بعوارض الأمراض. ويقابلها النفس الأمارة بالسوء، التي هي الطرف الأسفل الشهواني منها.

وتقع الإرادة المنفذة بين الطرفين، فإما أن تميل في اختياراتها إلى الطرف الأعلى اللوام، وإما أن تميل إلى الطرف الأسفل الأمار بالسوء. [↑](#footnote-ref-18)
19. )) رواه النسائي، حديث رقم 6/ 21، 22، كتاب: الجهاد، باب: ما لمن أسلم وهاجر وجاهد. [↑](#footnote-ref-19)
20. - الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، المجلد الأول، تفسير سورة الفاتحة، ملحق خاص في تفسير الصراط المستقيم، من ص 319 – 373 بتصرف. [↑](#footnote-ref-20)
21. )) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، معارج التفكر ودقائق التدبر، المجلد الثاني، ص 61 – 63بتصرف. [↑](#footnote-ref-21)
22. )) رواه مسلم، حديث رقم: 6827، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع. [↑](#footnote-ref-22)
23. )) رواه أبو داود، حديث رقم: 5083، كتاب: الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح. [↑](#footnote-ref-23)
24. )) رواه مسلم، حديث رقم: 6846، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعود من شر العمل. [↑](#footnote-ref-24)
25. )) رواه مسلم، حديث رقم: 2202، كتاب: السلام، باب: استحباب وضع يده على الألم، مع الدعاء. [↑](#footnote-ref-25)
26. - رواه مسلم، حديث رقم: 6447، كتاب: الأدب، باب: بر الوالدين، وأنهما أحق به. [↑](#footnote-ref-26)
27. - صحيح الترغيب والترهيب. [↑](#footnote-ref-27)